مبعث النبيّ صلى الله عليه وآله

مبعث النبي صلى الله عليه وآله

مقدمة

إن الرسالة الإسلامية لما كانت النموذج الخاتم من رسالات السماء، فهي غاية الخلق والإيجاد في هذه الحياة، حيث قال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، فالعبادة وما يترتب عليها من الاختبار والامتحان غاية الخلق والإيجاد، والدستور الذي افترضه الله سبحانه لهذه العبادة في الحياة هو دين الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله في دعوته ورسالته الخاتمة، ولكن لما أراد الله للإنسان في هذه الحياة أن يتدرج تدرجا طبيعيا في استعداداته العقلية والنفسية والأخلاقية لكي يتقبل هذا الدستور الإلهي، كان لابد - بمقتضى سنن الله التي أسس الحياة الدنيا عليها - أن تكون هذه الرسالة هي آخر الرسالات، بعد أن يمهد لها مجموعة من الرسل بحسب الوقت وظروفه عن طريق:

١- سن الشرائع الأساسية، من التوحيد والعدل ونبذ الظلم والفواحش ما ظهر منها وما بطن، لتكون أساسا معرفيا، يعزز فطرة الإنسان ويؤكد توجهاتها في ذلك.

٢- التبشير بقدوم الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله المتكفل بإرساء قواعد الشريعة المتكاملة التي هي أمل السماء وغاية

الإيجاد.

هذا كله من الناحية التشريعية والأخلاقية، وأما من الناحية التكوينية، فقد اختار الله سبحانه لنبيه الكريم ﷺ خير الأصول، وأطهر الأرحام، لينتقل فيها متدرجا من صلب شريف إلى رحم طاهر يكون كل منهما مؤهلا لاستقبال هذا النور العظيم الذي لم يخلق الله تعالى أشرف ولا أسبق منه، ففي الحديث عن النبي ﷺ: (أول ما خلق الله نوري) بحار الأنوار ج١٥ ص٢٤ ح٤٤، وليس ذلك لشيء إلا لكي تجري الأمور في هذه الحياة على سننها التي شاء الله أن تؤسس عليها الدنيا.

وبعد هذا فليس غريبا أن يكون النبي ﷺ في سيرته - حتى قبل البعثة - مثالا للأخلاق العالية فصار يلقب بالصادق الأمين، بل لو رجعنا قليلا لنسلط الضوء على آباء النبي ﷺ لوجدنا كلا منهم سيد قومه وشريف عشيرته وصاحب الأخلاق ورافع راية القيم ومؤسس التشريعات فيها، بل كان يتميز بأمر مهم وهو أن فيه نور النبوة، حتى وصف أغلبهم بالقمر أو قريب منه، لذا كانوا أصحاب رسالة إلهية يستشعرونها في أعماق نفوسهم ويورثونها لمن بعدهم، وهي إيصال

هذا النور بمنتهى الأمانة، وإيداعه في أرحام خير النساء فلا يقبلون التزويج بأي امرأة ما لم يسألوا عنها وتكون خير نساء قومها.

فهذه المقدمة أردنا منها بيان أمر مهم وهو أن رسالة الإسلام التي جاء بها خير الأنام صلى الله عليه وآله هي مشروع السماء لهذه الحياة، ولكن أريد لهذا المشروع أن يوجد في وقته المناسب وعلى أيدي خير خلق الله كلهم، والذي هو صلى الله عليه وآله بدوره أُعدَّ له لكي يكون مؤهلا لأن يحمل هذه الأعباء الجسام في سبيل تحقيق هذه الرسالة، فكان النبي محمدا صلى الله عليه وآله، وكانت رسالة الإسلام الخالدة بكل ما تعنيه هاتين الكلمتين من معاني الأخلاق والقيم والفضائل والكمالات الإلهية.

وهنا يجدر بنا في هذه المناسبة أن نتوقف قليلا لنرتشف من هذا البحر المتلاطم الموّاج شذرات من أخلاقه السامية، غير متناسين أيضا أن نذكر ما يناسب حادثة المبعث الشريف من بيان بعض أهداف البعثة الشريفة وأسرارها وكيفية البعثة وأعمال هذا اليوم الشريف، على أن ما يمكن أن نذكره من أخلاقه صلى الله عليه وآله لا يساوي شيئا من واقع حياته الشريفة التي زخرت بالمآثر والمكرمات،

فقد روي أن يهوديا من فصحاء اليهود طلب من بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله، فقال: أخبرني عن أخلاق رسولكم؟ فدله على علي عليه السلام، فلما سأل عليا عليه السلام عنه، قال: صف لي متاع الدنيا حتى أصف لك أخلاقه، فقال الرجل هذا لا يتيسر لي، فقال علي عليه السلام: عجزت عن وصف متاع الدنيا وقد شهد الله على قلته حيث قال: (قل متاع الدنيا قليل)، فكيف أصف أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وقد شهد الله تعالى بأنه عظيم حيث قال: (وإنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ).

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه خير الدنيا والآخرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) آل عمران/ ١٦٤

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) العلق/ ١-٥.

تجدر بنا الإشارة قبل الولوج في رحاب هذه الشخصية العظيمة إلى أن الحديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مهما بلغت قوة المتحدث منا وبلاغته وفصاحته فلن يصل حديثه إلا إلى سواحل هذا البحر المحيط، ولا عجب في ذلك فأين الثرى من الثريا؟! إذن: خير من يتحدث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ويظهر لنا من عظمته ما تتحمله طاقتنا ويحيط به إدراكنا هو بارؤه ومصوّره تباركت أسماؤه، وكل من أراد ويريد أن يفهم شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأخلاقياته وسيرته فعليه بالقرآن الكريم لأنه قد

تجسد في حياته ﷺ فكانت سيرته العطرة مثالا حيا لتعاليم القرآن الكريم.

النعمة الإلهية الكبرى: ومع حلول ذكرى المبعث النبوي الشريف نستحضر هذه النعمة الإلهية الكبرى، نعمة بعث الأنبياء لبني البشر بشكل عام، ونعمة بعث نبينا محمد ﷺ رسولا للعالمين ونبيا لهذه الأمة على وجه خاص، إذ أن الإنسان لا يستغني عن الهدي الإلهي في طريقه وسعيه نحو التكامل والسعادة، بل يحتاج إلى هداية الله وتوجيهه سبحانه وتعالى حتى يسير في طريق الكمال ويحقق السعادة لنفسه، بالرغم من أنه عز وجل منح الإنسان نعمة العقل حتى يستطيع عن طريقه تحقيق الكمال والوصول للسعادة.

عقل الإنسان يبقى محدودا: إن عقل الإنسان يبقى محدودا ضمن محيط مدركاته وما يمتلك من المعرفة والعلم، ويبقى شغف الإنسان قائما للتعرف على مبدئه ومصيره، كما إنه في توق إلى معرفة سبب مجيئه

إلى هذه الحياة، ومن أوجده وكيف يكون مسيره وما هو مصيره؟ هذه التساؤلات تُقلق الإنسان وتلح على عقله ونفسه ويحتاج إلى إجابة مطمئنة صحيحة، وربما لجأ بنو البشر في أحيان كثيرة إلى الأساطير والأوهام للحصول على تفسيرات لجوانب من حياتهم إلا أنها عادة ما تشوّش عليهم فكرهم وأذهانهم فتحول دون وصولهم إلى الحقيقة.

الإنسان ليس جسما فقط بل هو روح أيضا، فيحتاج إلى منهج وبرنامج يملأ البعد المعنوي والروحي في حياته، فكيف له أن يضع هذا البرنامج؟ إلى جانب ذلك فإن الإنسان في حياته المادية والمعنوية يحتاج إلى نظام وقانون يضبط علاقته مع أبناء جنسه ومحيطه، فكيف يصل إلى هذا النظام الاجتماعي، والقانون الذي ينظم حياته؟

لا شك بأن التجارب الإنسانية قد تُوصل بني البشر إلى بعض الحقائق، ولكن اقتصار الإنسان على التجربة

الحسية فقط قد يكلفه وقتا طويلا وجهدا كبيرا ويوقعه في أخطاء ومخاطر قد لا يتعافى منها إلا بعد حين، لأجل كل ذلك فهو بحاجة إلى الهدي الإلهي.

إن الله تعالى الذي خلق الإنسان بهذا الخلق المتميز (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) التين/ ٤، جعل من كمال لطفه ورحمته بهذا الإنسان أن وفّر له الهدي الذي يحتاجه في هذه الحياة، فكان ذلك عن طريق الأنبياء والرسل، فالأنبياء يحملون إلى الإنسان الهدي الإلهي.

إن الله تعالى يختار من عباده من بني البشر من يبعثه برسالته حتى يدل الإنسان إلى طريق الكمال والسعادة، وقد كان لهؤلاء الأنبياء (صلوات الله عليهم) الذين بعثهم الله الدور الكبير في هداية الإنسان، ولعل هذه المكاسب التي ترونها في حياة البشرية ليست بعيدة عن دور وهدي الأنبياء، فقد أحيا الأنبياء برسالتهم وهديهم في الإنسان الجانب الروحي القيمي، وهدوا البشرية إلى الكثير من الحقائق

التي أمكن للبشرية أن تستوعبها منهم.

أحد أسرار بعث النبي الأكرم:

لعل أحد أسرار بعث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في مجتمع كان يعيش الفقر الأخلاقي، أن تظهر عظمة هذه الرسالة وتميّز هذا الرسول، فلو جاء النبي صلى الله عليه وآله في مجتمع يتصف بالرقي الخلقي والحضاري، لسهل القول بأنه انطلق من تجربة مجتمعه واستفاد من تاريخ محيطه، ولكن أن يأتي هذا الرسول صلى الله عليه وآله في مجتمع يعيش الجهل والانحلال، ثم يعرض على البشرية هذه الرسالة العظيمة الرائعة في مختلف المجالات، حينها لا يبقى لأي عاقل مجال للشك في أن هذه الرسالة ليست إنتاجا بشريا، لأن المحيط الاجتماعي الذي عاش فيه النبي صلى الله عليه وآله لا يسمح بأي حال من الأحوال لشخص يعيش تلك الظروف أن يقدّم مثل هذه الرسالة وهذه الشريعة، كل ذلك يدل على صدق رسالته ونبوته، ولذلك يمنّ الله تعالى على المؤمنين، بقوله: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ

فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) آل عمران/ ١٦٤، فلم يأتهم شخص يعيش تقدما وتطورا أكثر من الوضع الذي كانوا يعيشون فيه، وإنما من نفس ذلك المجتمع، لقد بعث هذا الرسول العظيم صلى الله عليه وآله في مجتمع يعتقد بالخرافة ويعبد الأصنام ويسجد للأوثان، فقد كان في كل بيت من بيوت مكة صنم يعبده أهل ذلك البيت - حاشا بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي انحدر من خير نسل وهو نسل إسماعيل الذين كانوا يتميزون بالخلق الرفيع وبالصفات العالية في كل مجالات الحياة وكانوا سادة قومهم ورؤساءهم، فهم أوصياء إبراهيم عليه السلام وحملة نور الرسالة إلى عبد الله والد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله - بل كان في جوف الكعبة نفسها وعلى سطحها أكثر من (٣٦٠) صنما يُعبدون من دون الله، وقد كان العربي آنذاك يستبق سفره بالتمسح بالأصنام تبركا والتماسا للخير، كما يفعل ذات الأمر إذا عاد من سفره، ناهيك عن أخلاق القتل

والسلب والنهب ووأد البنات وأصحاب الرايات، لقد كانت العصبية والنزاعات وحالات الاحتراب تسود في ذلك المجتمع ولأتفه الأسباب، كما جرى في حرب البسوس حيث أصاب شخص ضرع ناقة بسهم فقامت إثر ذلك حرب استمرت لأكثر من أربعين سنة قتل فيها الألوف، وعلى ذات المنوال جرت حرب داحس والغبراء بسبب خلاف على سباق بين فرسين، واستمرت هذه الحرب عشرات السنين هلك خلالها الحرث والنسل.

جاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسط مجتمع كانت حياته حياة احتراب وعصبية وجهل وتخلّف في مختلف المجالات وبحسب وصف الآية الكريمة (وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ) آل عمران / ١٠٣، لقد كان مجتمعا مُعرّضا للانتهاء والإبادة ومهدّدا بالعيش خارج التاريخ والحياة، فخلق منه هذا النبي العظيم صلى الله عليه وآله مجتمعا جديدا وأمة متقدمة استطاعت أن تقود العالم خلال فترة قياسية من

الزمن، إن في ذلك دلالة كبيرة على عظمة هذا الدين وهذا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

دور أبي طالب عليه السلام:

يجب أن لا ننسى الدور الذي اضطلع به هذا الرجل العظيم، أبو طالب شيخ الأبطح عليه السلام، الذي وفر للنبي صلى الله عليه وآله حمايته المطلقة من كل أعدائه ومناوئيه.

أموال خديجة عليها السلام:

ثم هنالك العامل الاقتصادي الذي وفّرته له زوجته أم المؤمنين خديجة صلوات الله وسلامه عليها، والتي كانت تمتلك - حسبما يرى البعض - عصب الاقتصاد في الجزيرة العربية كلها، وقد أنفقت كل تلك الأموال على المسلمين، في الظروف الحرجة التي واجهوها، إبان اضطهاد قريش وحصارها الاقتصادي لهم.

دور علي عليه السلام:

يجب أن لا ننسى أيضاً دور وصي وأخي النبي صلى الله عليه وآله، أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن بعثة النبي صلى الله عليه وآله: (ولقد كان يجاور في كل سنة

بحـــــراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسـلام غير رســول الله صلى الله عليه وآله، وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحـي والرسـالة، وأشمّ ريح النبوة، ولقـد سـمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسـول الله، ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان آيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لسـت بنبـي، ولكنك وزير، وإنـك لعلـى خيـر) ودور علـي عليه السلام محـور أساسـي في دعوة النبـي صلى الله عليه وآله وبـعثته، كيف لا وهو الشـخص الثاني بـعد النبـي الأكرم صلى الله عليه وآله، بـل حظي بمزايا وخصائص لم يحظ بها غيره اطلاقـا، وهذا ما طفح بـه القـرآن الكريم والسـنة الشـريفة على لسان المعصومين عليهم السلام.

اهداف بعثة النبي الاكرم

١- الدعوة إلى العقل والتعقل:

القـرآن الكريم دعا وحـث مرارا عبـر آياته الشـريفة إلى العقـل والتعقل وجاءت العديد من الأحاديث المعصوميـة توضـح تلـك الآيـات المباركات، ومسألة التعقل والتدبر

مسألة جدُّ مهمة لأن جُلّ اعتقاداتنا وسلوكياتنا مرهونة بالعقل والتعقل، فلا قيمة لعقيدة أيّاً كانت من دون إعمال العقل في قبولها أو ردّها، بل ولا توجد قيمة حقيقية للإنسان إلا من خلال العقل.

وفي الحقيقة لا يوجد دين أكّد على العقل والتعقل كما أكّد عليه الإسلام الحنيف، فقد ورد في الروايات الشريفة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: (لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي، ماخلقت خلقا هو أحبّ إليّ منك ولا أكملتك إلاّ فيمن أحبّ، أما إني إياك آمر وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أثيب) الكافي ج١ ص١٠.

إذن: حساب الناس على قدر عقولهم وهذه نقطة أساسية، فالأهداف العليا للبعثة الشريفة هي دعوة الناس إلى العقل لا إلى الخرافة والجهل، بل إخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور العقل، فبالعقل يكون الإنسان إنسانا هذه من

الأساسيات التي قامت عليها دعوة الرسول الأكرم وسائر الأنبياء عليهم السلام، وقد ذكر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له في نهج البلاغة هذا الأمر حيث يقول: (فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسيَّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول) نهج البلاغة ج ١ ص ٩١.

٢- إتمام مكارم الأخلاق ومحامد الخصال:

من أهداف البعثة النبوية الشريفة إتمام مكارم الأخلاق فقد قال صلى الله عليه وآله: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) بحار الأنوار ج١٦ ص٢١٠، فالنفس البشرية تتوق إلى التخلق بالفضائل، لأنها كمال للنفس وحب الكمال من قبل النفس الإنسانية أمر فطري، ولعل الكثير دخل إلى الإسلام من خلال أخلاقيات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ومن خلال أخلاقيات الأئمة عليهم السلام، ولذا فالقرآن الكريم ذكر الكثير من الآيات الكريمة التي تُميّز الخلق الحسن من الخلق

القبيح، فمدح الأول وذم الثاني، وهذا يحتاج إلى بحث طويل فالآيات المباركات كثيراً ما تحدثت عن مسألة الأخلاق وأسست منظومة أخلاقية متكاملة تجسدت في شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسيرته وسلوكه، حتى أخبر القرآن الكريم واصفا نبيّه بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم ٤ فذلك ليس من فراغ أو من عاطفة بل عن واقعية وأحقيّة، والصياغة البلاغية لهذه الآية الكريمة تدل على التأكيد كما يقول النحاة.

٣- العلم والتعلّم من أهداف البعثة النبوية الشريفة:

بعد التعقل الموصل إلى العبودية التي توصل بدورها الإنسان إلى الرقي الأخلاقي يأتي الحديث عن العلم والتعلم، والذي هو هدف من أهداف البعثة النبوية الشريفة، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) الجمعة/٢، ولذا جاء

الخطاب الإلهي للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله في أول البعثة بالقراءة، قال سبحانه وتعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) العلق/١-٥، فالحديث هنا عن العلم والقلم وليس عن الجهل والحرب والسلاح، فالعلم الخاضع للعقل والأخلاق يوصل إلى السلم والسلام بين الشعوب ويدفع باتجاه التقدّم والرقيّ في سلّم الكمال، وهناك أبحاث وجوانب أخرى جديرة بالتوقف عندها ولكن المجال لا يسمح بعرضها.

شذرات من أخلاق النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} القلم/ ٤

بالرغم من أن نجاح دعوة الإسلام وانتشارها كان برعاية الله سبحانه وإمداده، إلا أن ذلك كان مقترنا بعوامل عديدة أيضا، ولعل أحد أهم هذه العوامل هو: سمو الأخلاق عند رسول الله صلى الله عليه وآله وجاذبيته الشخصية.

إن أخلاقه صلى الله عليه وآله كانت من العلو والمكانة السامية لدرجة أن ألدّ أعدائه كان يقع تحت تأثيرها،

كما أن مكارم الأخلاق التي أودعت فيه كانت تجذب وتشد المحبين والمريدين إليه بصورة عجيبة، ولا نبالغ إذا ما قلنا: بأن السمو الأخلاقي لرسول الله ﷺ كان معجزة أخلاقية، فلولم تكن هذه الأخلاق الكريمة وهذه الملكات الفاضلة، لما أمكن تطويع تلك الطباع الخشنة والقلوب القاسية، ولَمَا أمكن تليين أولئك القوم الذين كان يلفّهم الجهل والتخلف والعناد، ويحدث فيهم انعطافا هائلا لقبول الإسلام، ولَتَفَرَّق الجميع من حوله بمصداق قوله تعالى: (لانفضوا من حولك) آل عمران / ١٥٩، وكم كان رائعا لو أحيينا والتزمنا بهذه الأخلاق الإسلامية القدوة، وكان كل منا يحمل قبسا من إشعاع خُلُق وأخلاق رسولنا الكريم ﷺ وخاصة في عصرنا هذا حيث ضاعت فيه القيم، وتَنَكَّب الناس عن الخلق القويم.

وها نحن نتناول بعض هذه الصفات العظيمة لنتعرَّف على بعض جوانبها:

النبي محمد ﷺ بين الناس:

مع أنَّ نبيَّنا ﷺ كان له مقام النبوة الجليل وكانت له سلطة وقيادة فإنَّ حياته ومعاشرته كانت عادية تماماً، وبدون مظاهر وأُبَّهة، بحيث إنَّ الغريب كان إذا أقبل إلى مجلسه يضطر أن يسأل أيُّكم محمّد؟

لم تغرَّه الدُّنيا ولم تأسره المظاهر والاعتبارات ولم يقع في حبائل شباكها بل كان أبداً ينظر إليها بعين الزهد والتقوى، لم يُرَ قط مادّاً رجليه بين أصحابه وكان يحترم الجميع، ولقد كان ﷺ يأكل على الارض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرفع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري ويُردف خلفه، ولم يغضب إلاّ لله وللدين.

تسامحه وعفوه:

لم يكن من طبعه محاولة الانتقام ممَّن أساء إليه وكان يتجاوز عن أخطاء الآخرين وكان يواجه أذيتهم له بالعفو والتسامح، ورغم كلِّ الذي لاقاه من قريش في بدء الدعوة، فإنّه عند انتصاره عليهم في فتح مكَّة عفا عنهم، عفا عن (وحشي) قاتل عمِّه حمزة وكذلك فعل مع أبي

سفيان وهند .

ولكن مع شدة عفوه وتسامحه ﷺ لم يكن يقبل بأدنى تجاوز لحدود الله ... ولم يكن لتأخذه في الله لومة لائم ... فعندما أُخبر أنَّ فاطمة المخزومية سرقت لم يتقبل وساطة أسامة بن زيد، وقال: (إنَّما هلك مَن قبلكم أنَّهم كانوا إذا سرق الشَّريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحدَّ، وأيمُ الله لو أنَّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطع محمّد يدها).

لقد كان النبي محمّد ﷺ قدوة في الصفات الأخلاقية الفاضلة، وطبيعي أنّنا لا يمكننا أن نوفّيها حقَّها من البحث في مقالة مختصرة، بل كُلَّ ما يمكننا فعله هو أن نعطي نبذة عن الصورة الواقعية الأصيلة المشرقة، حتّى يعلم المسلمون شيئاً عن أفعال وسلوك نبيِّهم العظيم، ويضعون ذلك نصب أعينهم ومثالاً حيّا لهم، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) الأحزاب / ٢١.

ما هو الصحيح في قضية بدء الوحي:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ) العلق / ٢٠١.

البعثة عند الامامية

من المعلوم أن الله تعالى خلق الأنوار المقدسة للنبي وآله (صلوات الله عليه وعليهم) رحمة للعالمين، وأشهد الخلق على نبوته، كما في (بحار الأنوار، ج٣٦ ص١٧٨)، وأنه كان نبيا وآدم بين الماء والطين (كما في مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٨٣). كما ذكرت المصادر الإسلامية أن نور النبي صلى الله عليه وآله كان يُرى في أجداده وآبائه خصوصا عبد المطلب وعبد الله وأمه آمنه عليها السلام.

وكان علماء النصارى واليهود يذكرون ذلك ويبشّرون بقرب ظهور النبي الموعود وحدثت عدة أمارات عند ولادته الشريفة، ومما يذكر أيضا أنه قبل بعثته صلى الله عليه وآله كان لا يمرّ بحجر أو شجر إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله، وكان يذهب إلى غار حراء يتعبد فيه وينتظر أمر ربه تعالى حتى آن الأوان وأذن الرحمان بالبعثة

المباركة إذ هبط عليه الوحي بأول آيات مباركات وقال له: (إقرأ يا محمد) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (وما أقرأ؟).

حيث ورد في بحار الأنوار للمجلسي ج١٧ ص٣٠٩ قال: (قال علي بن محمد عليهما السلام: وأما تسليم الجبال والصخور والأحجار عليه فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما ترك التجارة إلى الشام، وتصدق بكل ما رزقه الله تعالى من تلك التجارات كان يغدو كل يوم إلى حراء يصعده وينظر من قلله إلى آثار رحمة الله، وأنواع عجائب رحمته، وبدائع حكمته، وينظر إلى أكناف السماء وأقطار الأرض والبحار والمفاوز والفيافي، فيعتبر بتلك الآثار، ويتذكر بتلك الآيات، ويعبد الله حق عبادته، فلما استكمل أربعين سنة ونظر الله عز وجل إلى قلبه فوجده أفضل القلوب وأجلها وأطوعها وأخشعها وأخضعها أذن لأبواب السماء ففتحت، ومحمد ينظر إليها، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمد ينظر إليهم، وأمر بالرحمة فأنزلت عليه

من لدن ساق العرش إلى رأس محمد وغمرته، ونظر إلى جبرئيل، الروح الأمين، المطوق بالنور، طاووس الملائكة هبط إليه، وأخذ بضبعه وهزه وقال يا محمد: اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمد (إقرأ باسم ربك الذي خلق ❖ خلق الانسان من علق ❖ اقرأ وربك الأكرم ❖ الذي علم بالقلم ❖ علم الانسان ما لم يعلم) ثم أوحى إليه ربه عزوجل ما أوحى، ثم صعد إلى علو، ونزل محمد صلى الله عليه وآله من الجبل وقد غشيه من تعظيم جلال الله، وورد عليه من كبير شأنه ما ركبه الحمى والنافض، وقد اشتد عليه ما يخافه من تكذيب قريش في خبره، ونسبتهم إياه إلى الجنون، وأنه يعتريه شياطين، وكان من أول أمره أعقل خلق الله، وأكرم برايا وأبغض الأشياء إليه الشيطان وأفعال المجانين وأقوالهم، فأراد الله عز وجل، أن يشرح صدره، ويشجع قلبه، فأنطق الجبال والصخور والمدر، وكلما وصل إلى شيء منها ناداه: السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا ولي الله،

السلام عليك يا رسول الله، أبشر فإن الله عز وجل قد فضّلك وجمّلك وزيّنك وأكرمك فوق الخلائق أجمعين من الأولين والآخرين، لا يحزنك أن تقول قريش: إنك مجنون، وعن الدين مفتون، فإن الفاضل من فضّله رب العالمين، والكريم من كرّمه خالق الخلق أجمعين، فلا يضيقن صدرك من تكذيب قريش وعتاة العرب لك، فسوف يبلغك ربك أقصى منتهى الكرامات، ويرفعك إلى أرفع الدرجات وسوف ينعم ويفرح أولياؤك بوصيك علي بن أبي طالب، وسوف يبثّ علومك في العباد والبلاد).

وكان النبي صلى الله عليه وآله يعرف الوحي ويراه، كما أوضح ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له وردت في كتاب نهج البلاغة - تحقيق صبحي صالح - حيث قال: (وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صلى الله عليه وآله، مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ

أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاه وَلَا يَرَاه غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ، غَيْرَ رَسُولِ اللَّه ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشَمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْه ﷺ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه مَا هَذِه الرَّنَّةُ، فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِه، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ) نهج البلاغة / خطبة ١.

وقد جاء في بعض مصادر العامة نظير ما رواه الإمامية فقد روي في كتبهم قول النبي ﷺ لجبريل: (وما أقرا)، في العديد من مصادرهم التي لايسعهم الطعن بها، منها (سيرة ابن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هج، ج٢، ص١٠١، وكذلك البلاذري المتوفى سنة٢٧٩ في أنساب الأشراف ج١ ص١١٠، والطبري المتوفى سنة ٣١٠ في تاريخه ج٢ ص٤٨،

والبيهقي وابن الاثير والذهبي وابن كثير وغيرهم.

ومع ذلك فقد طال التحريف والتزوير والكذب قضية بدء نزول الوحي على النبي ﷺ كغيرها من الأحداث الإسلامية الأخرى فقد رووا أنه قال لجبرائيل: (ما أنا بقارئ) وإن جبرائيل قد خنقه ثلاث مرات فخاف منه، وإن النبي أراد الانتحار وغيرها من الأكاذيب التي تناقض القرآن الكريم حيث قال الله تعالى (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) التكوير: آية ٢٣.، وكيف يصح أن يكون الوحي مرعباً للأنبياء والقرآن يصرح أن لا خوف للمرسلين قال تعالى: (إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) النمل: آية ١٠ــ، كما أن رواياتهم تناقض تواتر الأخبار بأن أحبار اليهود والنصارى عرفوه فكيف لم يعرف هو نبوته حتى بعد نزول الوحي عليه!

رأي المخالفين مخالف لمقام النبوة:

كما في رواية البخاري ومسلم وتاريخ الطبري: (أن الملك جاء للنبي ﷺ، وهو في غار حراء، فقال:

إقرأ. قال (ما أنا بقارئ) صحيح البخاري ط مشكول ج ١ ص ٥ - ٦ و ج ٩ ص ٣٨، وصحيح مسلم ج ١ ص٩٧، وليراجع تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٧.

ورواية تقول: إن خديجة أرسلته مع أبي بكر إلى ورقة بن نوفل فأخبره صلى الله عليه وآله أنه يسمع نداءً خلفه: يا محمد، يا محمد، فينطلق هارباً في الأرض، فأمره ورقة أن يثبت؛ ليسمع ما يقول ثم يخبره... إلخ كما في المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص ١٨٤.

ونحن نعتقد أن المروي عن أهل البيت عليهم السلام - وأهل البيت أدرى وأقرب إلى معرفة شؤون النبي صلى الله عليه وآله - كما ذكرنا آنفاً رواية الإمام علي بن محمد عليهما السلام في بحار الأنوار للمجلسي ج١٧ ص٣٠٩، هو الموافق لمقام النبوة والمطابق لواقع الحال.

وأما رواية البخاري ومسلم وما جاء في المستدرك لا يمكن قبولها وذلك لما يتنافى مع عقيدتنا في النبوة للنبي الأكرم، ومن أراد

التفصيل فليراجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم السيد جعفر مرتضى العاملي ج٢ ص ٣٠٠ .

إنارة:

جدير بالذكر أن في بعض كتب التفسير والتاريخ كلاما حول حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في هذه البرهة الزمنية لا تتناسب أبدا مع شخصية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، وتستند حتما إلى أحاديث مختلقة أو إلى إسرائيليات، من ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله اغتم كثيرا لدى نزول الوحي عليه أول مرة، وخشي أن يكون إلقاءات شيطانية! ومن ذلك أنه صلى الله عليه وآله همّ مرات أن يلقي بنفسه من أعلى الجبل! وأمثال هذه الخزعبلات التي لا تنسجم اطلاقا مع ما ذكرته كتب السيرة حول ما يتمتع به الرسول صلى الله عليه وآله من رجاحة في العقل، وضبط كبير في النفس، وصبر وسعة صدر، وثقة بالدور الكبير الذي ينتظره.

ويبدو أن أعداء الإسلام دسّوا هذه الروايات للطعن في الإسلام وللحطّ من شخصية النبي صلى الله عليه وآله .

أعمال ليلة المبعث

وهي من الليالي المبـــاركة، وفيها عدة أعمال:

الأول: روي عن أبـــــــي جعفر الجواد عليه السلام قـــال: (إنّ في رجب ليلة هـي خيـر للنـاس ممـا طلعـت عليـه الشمس، وهي ليلة السابع والعشرين منه نُبِّيَ رســـــــول الله صلى الله عليه وآله في صبيحـــــتها، وإنّ للعامل فيها من شـيعتنا مثل أجر عمل سـتين سـنة قيل: وما العمل فيها؟ قال: إذا صليت العشـــــاء ثم أخذت مضجعك ثم استيقظت أيّ ساعة من ساعات الليل كانت قبـــل منتصفه صلّيت اثنتي عشـرة ركعة تقـرأ في كل ركعة الحـمد وسـورة خفيفة من المفصّل، والمفصّل سورة محمد صلى الله عليه وآله إلى آخر القـرآن، وتسـلّم بـين كل ركعتين، فإذا فرغت من الصلوات جلست بعد السـلام وقـرأت (الحـمد) سبـعاً و(المعوّذتين) سبـعاً و(قـل هو الله أحد) و(قل يا أيها الكافرون) كلاً منها سبـــــعاً و(إنا أنزلناه) و(آية الكرسي) كلاً منها سبعاً وتقول بعد ذلك كله:

(الحَمْدُ للهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكٌ في المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبيراً اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعاقِدِ عِزِّكَ عَلى أَرْكانِ عَرْشِكَ وَمُنْتَهى الرَّحْمَةِ مِنْ كِتابِكَ وَباسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ وَذِكْرِكَ الأَعْلى الأَعْلى الأَعْلى وَبِكَلِماتِكَ التَّامّاتِ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَنْ تَفْعَلَ بِي ما أَنْتَ أَهْلُهُ). ثم ادع بما شئت. مفاتيح الجنان ص ١٨٤.

الثاني: يستحب الغسل في هذه الليلة.

الثالث: زيارة أمير المؤمنين عليه السلام وهي أفضل أعمال هذه الليلة.

أعمال اليوم السابع والعشرين يوم المبعث

وهو عيد من الأعياد العظيمة وفيه كان بعثة النبي صلى الله عليه وآله وهبوط جبرئيل عليه صلى الله عليه وآله بالرسالة، ومن الأعمال الواردة فيه:

الأول: الغسل.

الثاني: الصيام، وهذا اليوم أحد الأيام الأربعة التي خُصَّت بالصيام بين أيام السنة، ويعدل صوم هذا اليوم صيام سبعين سنة.

الثالث: الإكثار من الصلاة على محمد وآل محمد .

الرابع: زيارة النبي وزيارة أمير المؤمنين عليهما وآلهما السلام

الخامس: قال الشيخ في (المصباح) : روى الرّيان بن الصّلت قال :صام الجواد صلى الله عليه وآله لما كان ببغداد يوم النصف من رجب ويوم سبع وعشرين منه وصام جميع حشمه وأمرنا أن نصلي الصلاة التي هي اثنتا عشرة ركعة تقرأ في كل ركعة (الحمد) وسورة، فإذا فرغت قرأت (الحمد) أربعاً و (قل هو الله أحد) أربعاً و (المعوّذتين) أربعاً وقلت أربعاً : (لا إلهَ إلاّ اللّه وَاللّه أَكْبَرُ وَسُبْحانَ اللّه وَالحَمْدُ للّه. وَلا حَوْلَ وَلاقُوَّةَ إلاّ بِاللّه العَلِيِّ العَظِيم، وأربعا : اللّه اللّه رَبِّي لا أُشْرِكُ بِه شَيْئاً، وأربعاً: لا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً) مفاتيح الجنان ١٨٧ .

الخاتمة

إن ذكرى المبعث النبوي الشريف فرصة لتجديد الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى على هذه النعمة العظيمة، ولا سبيل لأمتنا إلا العودة

إلى الهدي الإلهي إذا أرادت أن تلحق بركب الحضارة البشرية اليوم، فالأمة الإسلامية وخاصة في المحيط العربي أصبحت تعيش وضعا شبيها بأوضاع العرب في الجاهلية، فالأمة تكاد تكون خارج سياق التطور البشري في مختلف المجالات والأبعاد، ولكن مهما كانت قسوة التخلف التي نعيشها، لا ينبغي أن يصيبنا ذلك باليأس والإحباط مادام عندنا هذا الهدي الإلهي وهذه الرسالة العظيمة، إن العودة لهذه القيم العظيمة السامية كفيلة بأن تتجاوز بنا التخلف والانحطاط، وهناك في الأفق بدأت تلوح بشائر الأمل وهذا ما يبشر بعودة الأمة الى سالف مجدها واعتزازها بدينها القويم.

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ
العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ